﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الواقِعة: 45 - 48]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الانتقال من وصف العذابِ إلى بيان سبب الاستحقاق

لمّا تناولتِ الآيات السّابقة وصفَ أصحاب الشِّمال وما أُعِدَّ لهم من ألوان العذاب؛ ناسب الانتقال من الوصف والرَّصف إلى بيان سبب استحقاقهم؛ لهذا العذاب فجاءت هذه الآيات: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾، أي: كانوا في الدُّنيا أهل ترفٍ وبذخٍ ألهتهم النِّعمة عن الشُّكر والطّاعة، ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾، أي: يُداومون على الذُّنوب العظام، وأعظمها الكفر والشِّرك، ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾، أي: كانوا يُكذِّبون بالبعث، ويُجاهرون بالإنكار والاستهزاء، فجاءت هذه الآيات تعليلًا وبيانًا لعلَّة استحقاقهم الوعيد الَّذي ذُكِر قبلها، فهؤلاء الَّذين يُصوَّر عذابهم في النّار لم يُعذَّبوا ظلمًا، بل لأنَّهم كانوا في الدُّنيا مترفين غافلين، مصرّين على الكبائر، مكذِّبين بالبعث.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُتْرَفِينَ﴾: المُترَفُ مأخوذٌ من الفعل (أترفَ)، وهو مشتقٌّ من التَّرف، والتَّرفُ في اللُّغة: النِّعمةُ الواسعةُ المصحوبةُ بالبطر والغفلة، والتَّرَف: تَنعيم الغذاء، والمُترَفُ: الموسَّعُ عليه عَيشُه، القليل فيه همُّه، والتُّرفةُ كلُّ ما تَرَّفتَ به نفسَكَ[1]، أو الطَّعام الطَّيِّب أو الشَّيء الطَّريف يخصُّ بها الرَّجل صاحبه[2]، والتُّرفة

(1) الخليل، العين: (ترف).
(2) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (ترف).

النِّعمة، وصبيٌّ مترف إذا كان منعَّم البدن مدلَّلًا، والمترف الَّذي أبطرته النِّعمة، وسعة العيش[1].

2) ﴿يُصِرُّونَ﴾: (صرر) يدلُّ في مادَّته على الثَّبات والإحكام والشِّدَّة، ومنه الصُّرَّة؛ لأنَّها تُعقَد بإحكام، والصَّرُّ: شدَّة البرد، والصَّرَّة: شدَّة الصَّوت، وكلُّها تشترك في معنى الإلزام والتَّقييد والإحكام، والإصرارُ: التَّعقُّد في الذَّنب والتَّشدُّد فيه، والامتناع من الإقلاع عنه، وأصله من الصَّرِّ، أي: الشَّدُّ، والصُّرَّةُ: ما تعقد فيه الدَّراهم، والصِّرارُ: خرقة تشدُّ على أطباء النّاقة لئلّا ترضع[2]، قال تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ [آل عمران: 135]، ومن المجاز: أصرَّ على الذَّنب[3]، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾ [الجاثية: 8]، ﴿وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧﴾ [نوح: 7].

3) ﴿ٱلْحِنثِ﴾: الحِنثُ: الذَّنبُ العظيم[4]، ومن المجاز: بَلَغَ الغُلام الحِنثَ[5]، أي: بَلَغَ مَبلغًا جَرَى عليه القَلَم في المعصيةِ والطّاعة، والحِنثُ إذا لم يبرَّ بيَمينه[6]، ويقال: تحنَّث؛ إذا تأثَّم، وتحرَّج[7]، وهو الذَّنب، استُعير من حنث الحانث الَّذي هو نقيض برِّه، وهو يتحنَّث من القبيح: يتحرَّج، ويتأثَّم، «وكان رسول الله ﷺ، يتحنَّث بحراء»، أي: يتعبَّد، ويتأثَّم[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قَولُهُ تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ مُعجِّبًا نَبيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ من أهلِ النّارِ، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ الَّذينَ يُؤخَذُ بهم ذاتَ الشِّمالِ من مَوقِفِ الحِسابِ إلى النّارِ، فهؤُلاءِ الَّذينَ حُكِمَ عَلَيهِم بعَذابِ السَّمومِ والحَميمِ، والظِّلِّ من يَحموم، ما استُحِقَّ لَهُم هذا المَصيرُ إلّا بما كانوا عَلَيهِ من أحوالٍ في الدُّنيا[9].

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ترف).
(2) الراغب، المفردات: (صرر).
(3) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (صرر).
(4) الخليل، العين، وابن سيده، المُحكم: (حنث).
(5) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (حنث).
(6) الخليل، العين: (حنث).
(7) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 462.
(8) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (حنث)، ورد الحديث في صحيح البخاريّ: (فكان يلحق بغار حِراء، فيتحنَّث فيه - قال: والتَّحنُّث التَّعبُّد - اللَّيالي ذوات العدد)، باب سورة العلق، رقم الحديث: (4670)، 4/ 1894.
(9) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 128.

أعظم أسباب الضَّلال التَّرف والاغترار بالحياة الدُّنيا والحماقة الجداليَّة

تُبيِّن الآيات الكريمةُ أسباب وقوع أصحاب الشِّمال في العذاب الشَّديد، وهو أنَّهم لَم يَكونوا مِن أهلِ الجَهلِ والبُؤسِ، بَل كانوا في نِعمَةٍ ورَغَدٍ، ولَم يَشكُروا، بَل كانوا قَبلَ ذَلِكَ مُترفينَ، أي: غارِقينَ في التَّنَعُّم المُفسِد، قَد ألهَتهُم الرَّفاهيَّةُ عَنِ التَّفَكُّرِ، وأعمَتهُم اللَّذَّةُ عَنِ النَّظَرِ في المَصيرِ، فلَم يَحمِلهُمُ النَّعيمُ على التَّواضُعِ، بَل ساقَهُم إلى الغُرورِ والبَطرِ والاستخفافِ بأمرِ اللهِ، ثُمَّ إنَّهُم لَم يَقفوا عِندَ حُدودِ التَّرَفِ والغَفلَةِ، بَل أصَرّوا على الحِنثِ العَظيمِ، أي: لازَموا الذَّنبَ الجَسيمَ، وثَبَتوا عَلَيهِ بلا تَوبَةٍ ولا حَياءٍ، والرّاجِحُ أنَّهُ الشِّركُ، أوِ التَّكذيبُ بالبَعثِ، وهو أكبَرُ الذُّنوبِ وأشَدُّها أثَرًا في الفَسادِ، و"أنَّهُم كانوا يَحلِفونَ أنَّهُم لا يُبعَثونَ، وكَذَبوا في ذَلِكَ، فهذا إصرارُهُم على الحِنثِ العَظيمِ"[1].

ثُمَّ يُفسِّرُ هذا الحِنثُ، ويُعرَفُ وجهُ الإصرارِ عَلَيهِ مِن قَولِهِم: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾، فهُم يُنكِرونَ أشَدَّ الإنكارِ أن يُبعَثوا بَعدَ أن تُفنيَهُمُ الأرضُ، وتَذروهُمُ الرّياحُ، ويَتَساءَلونَ بسُخريةٍ: أوَآباؤُنا الأوَّلونَ؟ أي: كَيفَ يُعادُ مَن ماتَ مُنذُ القُرونِ، وفَنيَ أثَرُهُ، وانطَمَسَت عِظامُهُ؟.

فَدَلَّ هذا كُلُّهُ على أنَّ أصحابَ الشِّمالِ لَم يُؤاخَذوا بمُجرَّدِ ذَنبٍ، بَل بجَمعِهِم بَينَ تَرَفٍ يُغني عَنِ الحَقِّ، وإصرارٍ يُغلَقُ بِهِ بابُ الرُّجوعِ، وتَكذيبٍ يَنقُضُ أصلَ الإيمانِ، ولأجلِ ذَلِكَ، استُحِقَّ لَهُم ما ذُكِرَ مِن ألوانِ العَذابِ، جَزاءً وِفاقًا، وعَدلًا لا يُخِلُّ، وحِكمَةً لا تُبطِل.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

تعليلُ الوقوعِ في العذابِ سبيل مقنعٌ لدفع بلاءٍ مفجع

علَّة فصل الآية عن السّابق:

فُصِل قَولُه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ عمّا قبله،

(1) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 4/ 236.

والفصل إمّا من باب كمال الاتِّصال، فتكون الجملة تحمل معنى البيان والتَّعليل لِما يَلقاهُ أصحابُ الشِّمالِ مِنَ العَذابِ، فيَتَعيَّنُ أنَّ ما تَضَمَّنَهُ هذا التَّعليلُ كانَ مِن أحوالِ كُفرِهِم، وأنَّهُ مِمّا لَهُ أثَرٌ في إلحاقِ العَذابِ بهِم بقَرينَةِ عَطفِ ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ﴾[1]، وإمّا من باب شبه كمال الاتِّصال، فبَعدَ أن اكتَمَلَت صورَةُ العَذابِ في مَشاهِدِها الحِسّيَّةِ والنَّفسيَّةِ، جاءَ السُّؤالُ لماذا كان هذا العذابُ الشَّديد، ففُتِحَ المَجالُ لِبَيانِ العِلَّةِ الَّتي استَوجَبَت هذا العَذابَ، فجاءَت الآيَةُ التّاليَةُ استِئنافًا بَيانيًّا يَحمِلُ تَفسيرًا لِما سَبَقَ، لا تتمَّةً لَهُ في البِنيَةِ التَّركيبيَّةِ.

والفَصلُ هُنا يُحَقِّقُ أثرًا بَلاغيًّا بالِغًا؛ إذ يُشعِرُ السّامِعَ بانتِهاءِ مَشهَدِ العَذابِ وصفًا لَهُ كَواقِعٍ قائِمٍ، ثُمَّ يُستَأنَفُ بَعدَهُ ما يُشبِهُ التَّحقيقَ القَضائيَّ في مَنشَأِ هذا المَصيرِ، فجاءَتِ الجُملَةُ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ مُفتَتَحَةً بـ (إنَّ) الدّالَّةِ على التَّوكيدِ؛ لتَعليلِ ما مَضى مِنَ العَذابِ الشَّديدِ، وكَأنَّما يُقالُ: هذا الَّذي وصفناهُ آنِفًا لَيسَ ظُلمًا، بَل هوَ جَزاءٌ مُحِقٌّ، فجاءَ الفَصلُ؛ ليَفصِلَ بَينَ المَشهَدِ المَرئيِّ والتَّحقيقِ التّاريخيِّ؛ تَحقيقًا لِمَقامِ العَدلِ الرَّبّانيِّ.

بلاغة التَّوكيد وفائدته:

دفْعُ أوهامِ النُّفوسِ باستعظامِ عظمةِ العذاب واستهجان شدَّة العقاب

جاءَ التَّوكيدُ بـ (إنَّ) في قَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾؛ لإثباتِ حَقيقَةِ السَّبَبِ الَّذي استَحَقَّ بِهِ أصحابُ الشِّمالِ ما وُصِفَ مِنَ العَذابِ، فجاءَ هذا التَّوكيدُ؛ ليُزيلَ ما قَد يُتَوَهَّمُ مِن مُبالَغَةٍ أو مَجازٍ أو ظُلمٍ في مَشهَدِ العَذابِ الشَّديدِ الَّذي سَبَقَهُ، وليُؤَكِّدَ أنَّ ما نالوهُ مِنَ السَّمومِ والحَميمِ وظِلِّ اليَحمومِ إنَّما كانَ عَن استِحقاقٍ بَيِّنٍ وجِنايَةٍ مُحَقَّقَةٍ لا جِدالَ فيها، فهو يُفيدُ دفع ما قد يجولُ في الأنفسِ من إنكارٍ لوقوعِ مثلِ هذا العذاب، فوظيفة التَّوكيد الإقناع

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 305.

ودفع التَّعليل النَّفسيِّ، واستيفاء المَقام حَقَّهُ مِنَ الإقناعِ البَيانيِّ، لا سيَّما أنَّ السّياقَ كانَ قَد شَحَنَ السّامِعَ بمَشهَدٍ رَهيبٍ لِلعَذابِ، قَد يُثيرُ في بَعضِ النُّفوسِ تَوَهُّمًا بأنَّهُ شَديدٌ، أو أنَّهُ يَفوقُ حَجمَ الذَّنبِ، فجاءَ هذا التَّوكيدُ ليَحسِمَ ذلِكَ، ويُقَرِّرَ أنَّ ما نالوهُ هوَ نَتيجَةٌ حَتميَّةٌ لِعِلَلٍ سابِقَةٍ ثابِتَةٍ.

دلالة ذكر فعل ﴿كَانُواْ﴾:

في قَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾، جاءَ فِعلُ ﴿كَانُواْ﴾؛ ليُؤدّي دلالَةَ الاستِمرارِ والدَّوامِ، لا لِمُجرَّدِ الحِكايةِ عَن فِعلٍ ماضٍ انقَضى، بَل لإفادَةِ أنَّ التَّرَفَ كانَ حالًا راسِخًا مُتَّصِلًا لا طارِئًا ولا عارِضًا، وهوَ ما يَزيدُ الجَريمَةَ فظاعَةً، ويُؤَكِّدُ استِحقاقَ العَذابِ الَّذي سَبَقَ وصفُهُ، فالقُرآنُ لا يَذكُرُ مُجرَّدَ الوُقوعِ، بَل يُحَمِّلُ الفِعلَ صِفَتَهُ الزَّمانيَّةَ؛ ليَكشِفَ عَنِ امتِدادِ الفَسادِ واستِمرارِهِ وتَجَذُّرِهِ في السُّلوكِ، حَتّى صارَ التَّرَفُ هَيئَةً مُلازِمَةً لا فلتَةً مِن فلتاتِ الزَّمَنِ، و"أنَّ التَّرَفَ في العَيشِ عَلَّقَ قُلوبَهُم بالدُّنيا، واطمَأنّوا بها، فكانَ ذلِكَ مُمليًا على خَواطِرِهِم إنكارَ الحَياةِ الآخِرَةِ، فيَكونُ المَرادُ التَّرَفَ الَّذي هذا الإنكارُ عارِضٌ لَهُ وشَديدُ المُلازَمَةِ لَهُ"[1]، فيَكونُ مَعنى الآيَةِ: إنَّهُم لَم يُعرَفوا في دُنياهم إلّا بهذِهِ السِّمَةِ، ولَم يَكُن تَرَفُهُم عارِضَ نِعمَةٍ، بَل مَقامًا دائِمًا أفسَدَ نُفوسَهُم، وأورَثَهُم الكِبرَ، وأنساهُمُ المَصيرَ، فكانَ العَذابُ امتِدادًا عَدلًا لِمُقَدِّماتٍ لَم تَنقَطِع.

ترفُ المجرمين منهجُ حياةٍ أنساهم ذكرَ الله تعالى

بلاغةُ الإطنابِ بذكرِ قيد ﴿قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾:

ذِكْرُ قيد ﴿قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ في قَوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ إطنابٌ، فإنَّ الحديث عن ترفِ أصحاب الشِّمال في الآخرةِ هو باعتبار ما كان في الدُّنيا، فيُسأل عن نكتة ذلك، والجواب: أنَّ الخطابَ موجَّهٌ لأهل الدُّنيا قبل موتِهم، ففيه تحذير بالغ، وتنبيه

تحريكُ السَّواكن وإحياء الموتى من كفرِهم من قيم النَّظم المعجز

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 305.

عالٍ، أن ينتبهوا، وهم ما زالوا في القبليَّة الزَّمانيَّة الَّتي يستطيعون فيها الاستدراك، ويتراجعون عن غفلتِهم، فيؤمنوا، فذِكْرُ القيد لا يُرادُ به تحصيلُ معرفةٍ، بل يُراد به اكتسابُ فضيلةٍ، وتحقيق مصلحة، وهي المسارعة إلى الهداية، ونزع الغواية، وهذا ما يُفيده النَّظم في باب القيم الهدائيَّة، الَّتي من شأنِها تحريك السّواكن، وإحياء الموتى من قبورِ الضَّلالات.

تعيين مرجع اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾:

العـذاب المُحيط بالكافرين مهولٌ شـديـدٌ وواقــعٌ عتيد

الإشارَةُ في قَوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تَقدَّمَ ذِكرُهُ مِن أوصافِ العَذابِ في قَولِهِ: ﴿سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ بتَأويلِها بالمَذكورِ، أي: كانوا قَبلَ اليَومِ، وهوَ ما كانوا عَلَيهِ في الحَياةِ الدُّنيا[1]، فهوَ إشارَةٌ إلى المَذكورِ مِنَ العَذابِ الشَّديدِ المُحيطِ بأصحابِ الشِّمالِ، لا إلى أمرٍ بَعيدٍ أو مَجهولٍ، وإنَّما إلى ما هوَ حاضِرٌ في السّياقِ الذِّهنيِّ، مَوصولٌ بما قَبلَهُ مِن وصفِ المَصيرِ.

وَقَدِ اختيرَ ﴿ذَٰلِكَ﴾ بَدلًا مِن أن يُقالَ (قَبلَ العَذابِ) أو (قَبلَ دُخولِ النّارِ) أو (في الدُّنيا)؛ ليَتَحَقَّقَ غَرضانِ في آنٍ: أوَّلُهُما: رَبطُ المَصيرِ بالفِعلِ الماضي دونَ تَصريحٍ مُباشِرٍ يَفصِلُ السّياقَ، والثّاني: تَعظيمُ ما آلوا إلَيهِ بتَسميتِهِ باسمِ إشارَةٍ يُرادُ بِهِ التَّهويلُ.

بلاغة استعمال اسم الإشارة للبعيد ﴿ذَٰلِكَ﴾:

مَـقـامُ التَّـهـويـلِ بُعدُ رُتْبَةٍ لا بُعدُ مَسافَة

استُعمِل اسمُ الإشارة في قَوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾، وهو لِلمُفرَدِ المُذَكَّرِ تَلحَقُهُ كافُ الخِطابِ في آخِرِهِ ﴿ذَٰلِكَ﴾، فيَكونُ لِلبَعيد[2]، وآثر النَّظم استعماله دون غيره - وهو موضوع للبُعدِ المَكانيِّ - ليُفيد بُعدَ المَنزِلَةِ في الهَولِ والفَظاعَةِ، أي: قَبلَ ذلكَ العَذابِ المَهولِ، وقَبلَ ذلكَ الحالِ المُروِّعِ كانوا مُترفين، فالتَّعبيرُ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 306.

(2) ابن يعيش، شرح ابن يعيش: 3/ 135.

يَحمِلُ في طَيِّهِ مَعنى التَّهويلِ مِنَ العاقِبَةِ الَّتي أحاطَت بهِم، فجاءَتِ الإشارَةُ بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ لِتُضَخِّمَ ما سَبَقَ، وتَجعَلَهُ نُصبَ العَينِ في عِلِّيَّتِهِ ورَبطِهِ بالمُقَدِّمَةِ الَّتي تَلَتهُ؛ إذ يَجوزُ أن يَنوبَ اسمُ الإشارَةِ الدّالُّ على البُعدِ عنِ الدّالِّ على القُربِ، فتَنوبَ ﴿ذَٰلِكَ﴾ عن (هذا)؛ وذلكَ لِقَصدِ التَّحقيرِ أوِ التَّعظيمِ[1] وغيرِها من أغراضٍ يقتضيها السّياق.

توجيه تخصيص الترف بالذكر:

التَّرَفُ بَوّابَةُ الفَسادِ العَقديِّ والسُّلوكيِّ وأصل كلِّ شرٍّ

خصَّ النَّظم الكريم التَّرفَ بالذِّكر في قَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾، دون ذكر الكُفرِ أوِ الشِّركِ أوِ الكِبرِ، مَعَ كَونِها أُصولَ الخُسرانِ؛ تَنبيهًا بَليغًا على أنَّ التَّرَفَ لَيسَ مُجرَّدَ حالٍ مَعيشيَّةٍ ناعِمَةٍ، بَل هوَ مَنشَأٌ خَطيرٌ لِلفَسادِ العَقديِّ والسُّلوكيِّ؛ إذا صاحَبَهُ الطُّغيانُ، فجاءَ ذِكرُهُ في صَدرِ عِلَلِ العَذابِ؛ ليَكونَ رَمزًا لِحالَةِ الاغترارِ بالدُّنيا، والانغماسِ في اللَّذَّةِ، والغَفلَةِ عَنِ المَصيرِ، وهيَ المُقَدِّماتُ الَّتي تَقودُ إلى الكُفرِ والعِنادِ والإصرارِ على الحِنثِ.

فَلَيسَ التَّرَفُ هُنا وصفًا ماديًّا مَحضًا، بَل هوَ وصفٌ أخلاقيٌّ شامِلٌ، يَدُلُّ على التَّلَبُّسِ بحالَةٍ مِنَ البَطرِ، والتَّمَرُّدِ على الحَقِّ، والاستِعلاءِ بالنِّعمَةِ، ولِذَلِكَ قُدِّمَ في الذِّكرِ على الإصرارِ على الذَّنبِ، والتَّكذيبِ بالبَعثِ؛ لأنَّهُ البَذرَةُ النَّفسيَّةُ الَّتي نَبَتَ عَنها كُلُّ ذَلِكَ، كَما أنَّ في تَقديمِهِ إشارَةً إلى أنَّ التَّرَفَ هوَ الحاضِنُ الطَّبيعيُّ لِرَفضِ القُيودِ الشَّرعيَّةِ والعَقائِديَّةِ، وأنَّهُ لا يَجتَمِعُ مَعَ الخُضوعِ ولا مَعَ التَّذَكُّرِ، بَل يُؤدّي إلى التَّكذيبِ، ويُغَذّي الغَفلَةَ، ويَقتُلُ التَّواضُعَ للّه.

والمُترَف في الاصطلاح القرآنيِّ ليس وصفًا اقتصاديًّا، بل حالةٌ نفسيَّة واجتماعيَّة، يُلازمها التَّراخي عن التَّكاليف، والتَّمرُّد على حدود الله، والرِّضا بحياة اللّهو والمتعة، دون شكرٍ ولا محاسبةٍ،

(1) الرّضيّ، شرح الرّضيّ على الكافية: 2/ 32.

ولهذا ورد في القرآن ذمٌّ متكرِّرٌ للمُترَفين، كقوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾ [الإسراء: 16]، أي: أفسدوا، فاستحقّوا العقوبة.

نكتة التّعبير بصيغة المفعول ﴿مُتۡرَفِينَ﴾:

توجيهُ الذَّمِّ لواقعِ التَّرَفِ المرضيِّ لا إلى فاعلِه وموجِدِه

في قَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ﴾ جاءَ التَّعبيرُ بصيغَةِ المَفعولِ ﴿مُتۡرَفِينَ﴾ بَدلًا مِنَ الفاعِلِ (مُترِفين)، وهو "اسمُ مَفعولٍ مِن أترَفَهُ، أي: جَعَلَهُ ذا تُرْفَةٍ بضَمِّ التّاءِ وسُكونِ الرّاءِ، أي: نِعمَةٍ واسِعَةٍ، وبِناؤُهُ لِلمَجهولِ لِعَدمِ الإحاطَةِ بالفاعِلِ الحَقيقيِّ لِلإترافِ، كَشَأنِ الأفعالِ الَّتي التُزِمَ فيها الإسنادُ المَجازيُّ العَقليُّ الَّذي لَيسَ لِمِثلِهِ حَقيقَةٌ عَقليَّةٌ، ولا يُقَدَّرُ بنَحوِ: أترَفَهُ اللّهُ؛ لأنَّ العَرَبَ لَم يَكونوا يُقَدِّرونَ ذلِكَ، فهذا مِن بابِ: قالَ قائِلٌ، وسَألَ سائِلٌ"[1]، فيصحُّ أن يكون فاعلُ التَّرفِ هم أنفسُهم، والإنسانُ يُترفُ نفسَه، أو أن يكون صادرًا عن آبائهم وأهليهم؛ بسبب التَّقصير والكسل والدَّعة والإهمال، وما يستصحب ذلك من ظلم النّاس في واقع الظّالمين المترَفين، فهم لا يلتفتون إلّا لأنفسِهم؛ فالمقصودُ توجيهُ الذَّمِّ لواقعِ التَّرف المرضيِّ، لا إلى سببه أو فاعله، فمن رَضيَ بأن يكونَ من المترَفين، فهو متغاضٍ عن الحقِّ، متجاوزٌ للحقوقِ والحدود.

دلالة عطف (كانوا) على السّابق:

تَصاعُدُ الخُسرانِ مِنَ التَّرَفِ إلى الإصرارِ إلى العَقيدَةِ المُنحرِفَة

في قَولِهِ تعالى: ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ جاءَ العَطفُ بفعل (كانوا) على الجُملَةِ السّابِقَةِ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ﴾؛ لِبَيانِ أنَّ العَذابَ الَّذي حاقَ بأصحابِ الشِّمالِ لَم يَكُن بسَبَبِ التَّرَفِ وحدَهُ، بَل هوَ نَتيجَةُ مَجموعَةٍ مِنَ الجَرائِمِ المُتَراكِبَةِ، فكانَ العَطفُ وسيلَةً لِعَرضِ تَسَلسُلِ الجِناياتِ وتَكامُلِ عِلَلِ الهَلاكِ؛ إذ التَّرَفُ كانَ حالًا مُفسِدَةً، والإصرارُ على الحِنثِ كانَ سُلوكًا مُستَمِرًّا، والقَولُ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 306.

بإنكارِ البَعثِ كانَ اعتِقادًا راسِخًا، فجَمَعَتِ الآياتُ بَينَ فسادٍ في الحالِ، وإصرارٍ في العَمَلِ، وتَكذيبٍ في العَقيدَةِ.

والعَطفُ بـ﴿وَكَانُواْ﴾ دونَ الاكتِفاءِ بالفِعلِ المُجرَّدِ يُفيدُ التَّقويَةَ والتَّوكيدَ على دَوامِ الفِعلِ واستِمرارِهِ، ويُبرِزُ كُلَّ جِنايَةٍ في استِقلالِها ووَزنِها الخاصِّ في ميزانِ الذَّمِّ، فلا يُظَنُّ أنَّ التَّرَفَ كافٍ وحدَهُ في الهَلاكِ، بَل أُتبِعَ بما يُؤكِّدُ أنَّهُم تمادَوا في الذَّنبِ عَن عَمدٍ، ورَفَضوا التَّوبَةَ، وأصَرّوا على المَعصيَةِ إصرارًا لا انفِكاكَ عَنهُ، فجاءَ العَطفُ لِتصويرِ الفَسادِ في جَميعِ أبعادِهِ.

بلاغة استعمال مفردة الإصرار:

الإصـــرارُ على الـذَّنبِ سلوكٌ قبيحٌ صادرٌ عن حـالـةٍ نفسيَّة وقلبٍ خبيث

جاءَ اختيارُ هذِهِ المُفرَدَةِ ﴿يُصِرُّونَ﴾ في قَولِه تعالى: ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾، ليَكشِفَ عن مَوقِفٍ داخِليٍّ عَنيدٍ، فالآيَةُ لا تُدينُ الفِعلَ وحدَهُ، بَل تُدينُ النَّفسَ الَّتي اعتادَتِ الخَطيئَةَ، وألِفَتِ التَّمادي فيها، وأغلَقَت أبوابَ التَّراجُعِ، وهذا ما يَجمَعُ بَينَ جُرمِ المَعصيَةِ وفَسادِ القلبِ، وهوَ ما يُناسِبُ وصفَ الذَّنبِ هُنا بـ﴿ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

غرض التَّعبير بصيغة المضارع ﴿يُصِرُّونَ﴾:

تـصـويـرُ دوامِ الإصـــرارِ على الذَّنبِ وملازمته في الدُّنيا

جاءَ التَّعبيرُ بصيغَةِ المُضارِعِ في قَولِهِ تعالى: ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾؛ لِتصويرِ ديمومَةِ الفِعلِ واستِمرارِهِ وتَجَدُّدِ صُدورِهِ وتكرارِه[1] في الدُّنيا، لا لِمُجَرَّدِ الإخبارِ عن وُقوعِ ماضٍ انقَضى، فاختيارُ المُضارِعِ في مَوضِعِ الحِكايَةِ عنِ الماضي يُرادُ بِهِ تَصويرُ الفِعلِ كَأنَّهُ حاضِرٌ أمامَ السّامِعِ، مُتَكرِّرٌ لا يَنقَطِعُ، مُتَلَبِّسٌ بهِم على الدَّوامِ، وهذا مِن أبلَغِ أُسلوبِ التَّقريرِ والتَّقريعِ في البَيانِ القُرآنيِّ.

معنى تعريف لفظِ ﴿ٱلْحِنثِ﴾:

جاء لفظ ﴿ٱلْحِنثِ﴾ معرَّفًا في قَولِهِ تعالى: ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 307.

الحنثُ ذنبٌ معلومٌ وجرم مأفون وجِنايَة حاضرةٌ في العقول

﴿ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ﴾؛ لِلدَّلالَةِ على أنَّهُ لَيسَ حِنثًا مُطلَقًا أو عارِضًا، بَل هوَ حِنثٌ مَعلومٌ في الذِّهنِ، عَظيمٌ في الحَقيقَةِ، كَأَنَّهُ بَلَغَ مِنَ الشَّناعَةِ والوُضوحِ ما لا يَحتاجُ مَعَهُ إلى مَزيدِ بَيانٍ، فالتَّعريفُ هُنا عهديٌّ ذهنيٌّ يُفيدُ أنَّ المُرادَ ذَنبٌ مَخصوصٌ، مَعروفٌ في مَقامِ الذَّمِّ، لا يُتَصَوَّرُ مَعَهُ اللَّبسُ، بَل هوَ الذَّنبُ الَّذي يُتَلَبَّسُ بِهِ عَن عِلمٍ وتَحدٍّ وإصرارٍ، حَتّى صارَ كالعَلَمِ بَينَ الذُّنوبِ، والحِنثُ في كَلامِ العَرَبِ العَدلُ الثَّقيلُ شُبِّهَ الإثمُ بِهِ[1]، ولَيسَ مِن أساليبِ القُرآنِ أن يُعَرِّفَ ذَنبًا إلّا إذا كانَ مِنَ الكِبَرِ والظُّهورِ بحَيثُ لا يَخفى على مَن وُجِّهَ إلَيهِمُ التَّهديدُ أوِ التَّوبيخُ.

فائدة وصف ﴿ٱلۡحِنثِ﴾ بالعظيم:

الأوصافُ كاشفةٌ عن هولِ الجنايةِ وفظاعةِ الذَّنوبِ

وُصِفَ الحنث بالعظيم في قَوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، والعَظيمُ: القَويُّ في نَوعِهِ، والحِنثُ العَظيمُ هوَ الإشراكُ باللهِ، وفي حَديثِ ابنِ مَسعودٍ أنَّهُ قالَ: "قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ أيُّ الذَّنبِ أعظَمُ؟ قالَ: «أن تَدعوَ لِلّهِ نِدًّا، وهوَ خَلَقَكَ»[2]، وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: 13]"[3]، ووَصفُ ﴿ٱلۡحِنثِ﴾ بـ ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ لَيسَ مُجرَّدَ تَقويَةٍ مَعنَويَّةٍ لِلتَّعبيرِ، بَل هوَ وصفٌ مَقصودٌ يُبرِزُ هَولَ الجِنايَةِ وشَناعَةَ ما أصَرّوا عَلَيهِ، فالوصفُ بالعظيم يُراد به تهويل الحنث مع الإيماء إلى أثره الجامع بين القوَّة والكبر في آنٍ، فلا أشدَّ من الشِّرك باللّه تعالى، بل هوَ أعظَمُ الحِنثِ؛ لأنَّهُ يَنقُضُ أصلَ الميثاقِ الَّذي فُطِرَ عَلَيهِ الإنسانُ، ويَهدِمُ رَكائِزَ الإيمانِ، وهوَ وصفٌ يُضَخِّمُ في نَظَرِ السّامِعِ شَأنَ ذلِكَ الذَّنبِ؛ لِيُبَيِّنَ أنَّ الإصرارَ لَم يَكُن على لَغوٍ أو ذَنبٍ هَيِّنٍ، بَل على أعظَمِ ما يُتَصَوَّرُ مِنَ الجُحودِ والعِصيانِ.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 82.
(2) أخرجه البخاري في الصحيح، حديث رقم: (6468)، ومسلم، في الصحيح، حديث رقم: (86).
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 306.

دلالة عطف ﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ﴾:

تنوُّعُ الجنايات مِنَ التَّرَفِ إلى الجَهرِ بالتَّكذيبِ مجمعُ علل الهلاك

جاءَ عَطفُ قَولِهِ تعالى: ﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ﴾ على ما قَبلَهُ؛ لِبيانِ تَراكُم وُجوهِ الجُحودِ، وتَعَدُّدِ مَنازِعِ الانحرافِ عِندَ أصحابِ الشِّمالِ، فكُلُّ جُملَةٍ مَعطوفَةٍ بـ(كانوا) تُقَدَّمُ بوَصفِها سَببًا مُستَقِلًّا في استِحقاقِ العَذابِ، لا مُجرَّدَ تابِعٍ لِما قَبلَهُ، والعَطفُ بـ ﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ﴾ هُنا تَحديدًا يُبرِزُ أنَّ القَولَ الَّذي جاءَ بَعدَ الإصرارِ لَيسَ قَولًا عَرضيًّا، بَل هوَ شكلٌ من أشكالِ الجدالِ المأزوم، وعَقيدَةٌ راسِخَةٌ يُجاهِرونَ بها، ويَتَبَنَّونَها بمنزلة مَوقِفٍ فلسَفيٍّ واعٍ.

فَهُم لَم يَكتَفوا بالتَّرَفِ، ولا بالإصرارِ على المَعصيَةِ، بَل جَعَلوا التَّكذيبَ بالبَعثِ مَنطِقًا يُتَداوَلُ، ومادَّةً تُقالُ، وسُخريةً تُتَكرَّرُ، فجاءَ العَطفُ؛ ليَدُلَّ على أنَّ الفَسادَ عِندَهُم لَم يَقِف عِندَ السُّلوكِ، بَل تَجاوَزَهُ إلى البَيانِ والتَّعبيرِ، أي: إلى المَنظومَةِ الفِكريَّةِ الَّتي تَتَبَنَّى الضَّلالَ، وتَنشُرُهُ، وهذا يُعَمِّقُ مَعنى التَّهديدِ، ويُظهِرُ أنَّ عَذابَهُم لَم يَكُن عن فِعلٍ خَفيٍّ، بَل عن جَهرٍ مُتَعَدٍّ، وقَولٍ فيهِ تَبَجُّحٌ واستِهزاءٌ.

نكتةُ تكرارِ فعلِ (كانوا):

تعدُّدُ جنايات أصحاب الشِّمالِ مجموعةٌ في مصيرٍ واحد

في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾، جاء تكرار فعل (كانوا) ثلاث مرّاتٍ، وهو تكرارٌ يُقصَدُ به التَّوكيدُ والتَّفصيلُ والتَّصعيدُ والتَّرقّي في ذِكرِ الأسبابِ الَّتي استُحِقَّ بها العذابُ، فكلُّ جملةٍ من الجُمَلِ الثَّلاثِ جاءت بمدخولٍ مستقلٍّ من نوعٍ مختلفٍ عن سابقتها، ممّا يُفيدُ أنَّهم جَمَعوا بينَ ضروبٍ متعدِّدةٍ من الفسادِ: ترفًا مفسدًا للقلوب، وإصرارًا على الذُّنوب، وتكذيبًا للغُيوب.

فالتَّكرارُ هنا ليس حَشوًا ولا تَكرارًا لفظيًّا فارغًا، بل هو أسلوبٌ

بلاغيٌّ يُعطي كُلَّ سببٍ ما يستحقُّه من التَّوكيدِ والانفصالِ في الذِّكر؛ ليُفهَمَ أنَّ كُلَّ واحدةٍ من هذه الصِّفاتِ كانت كافيةً بمفردِها للعقوبة، فكيف إذا اجتمعت؟ وبهذا التَّكرارِ تَظهرُ كثرةُ جرائمهم، واستقلالُ كلِّ واحدةٍ منها في الدَّلالةِ على فسادِ حالهم، وشدَّةِ استحقاقِهم للعذاب.

ويُفيدُ هذا التَّكرارُ تَوكيدَ استقلالِ كُلِّ وصفٍ من أوصافِهم في علِّيَّتِه للعَذابِ، وتَثبيتَ دلالَةِ الاستمرارِ في كُلِّ واحدٍ منها، فكَأنَّ كُلَّ خَصلَةٍ من خِصالِهم كانَت كافيَةً وحدَها لاستحقاقِ العَذابِ، فجاءَ التَّكرارُ؛ ليُسَلِّطَ الضَّوءَ على كُلِّ واحدَةٍ على حِدَةٍ، من غَيرِ أن تُدمَجَ في غَيرِها، فاقتَضى أن يُعادَ التَّعبيرُ بالفعلِ (كانوا)؛ ليُفصَلَ هذا المَعنى، ويُفهَمَ أنَّ ما مارَسوهُ لَم يَكُن امتدادًا لِحالَةِ التَّرَفِ فقَط، بَل مَوقِفًا قائمًا بذاتِهِ، فيهِ عِنادٌ وإصرارٌ، وافتئاتٌ قوليٌّ.

تصويرُ جريانِ الشِّركِ على ألسنة أصحاب الشِّمالِ على الدَّوامِ

نكتة التَّعبير بصيغة المضارع ﴿يَقُولُونَ﴾:

جاءَ التَّعبيرُ بصيغَةِ المُضارِعِ في قَولِهِ تعالى: ﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ﴾ مَعَ أنَّ السّياقَ حديثٌ عمّا مضى؛ لإبرازِ ديمومَةِ القَولِ واستمرارِهِ في ماضيهم، وأنَّهم كانوا "يُنادِرونَ في ذلكَ بأنَّ القَولَ ذلكَ يَستلزِمُ أنَّهُم يَعتَقِدونَ استحالَةَ البَعثِ"[1]، فالمُضارِعُ في هذا المَوضِعِ تَصويرٌ بَلاغيٌّ يُجَسِّدُ حالَهُم كَأنَّها ماثِلَةٌ أمامَ السّامِعِ، تُرى، وتُسمَعُ، لا مُجرَّدَ خَبَرٍ عن ماضٍ انقَضى، بَل عن عادَةٍ لَزِمتهم، ومَوقِفٍ كانوا يُكرِّرونَهُ في كُلِّ مَجلِسٍ ومَحفِلٍ، فالآيَةُ لا تُصوِّرُ قَولًا عابِرًا صَدَرَ مِنهُم، وانتَهى، بَل مَوقِفًا فِكريًّا وعَقديًّا يُكرَّرُ، ويُجاهرُ بهِ، ولِهذا اختيرَ لَهُ المُضارِعُ دونَ الماضي، وفي هذا الأُسلوبِ ضَربٌ مِنَ التَّهويلِ؛ إذ يوحي بأنَّ التَّكذيبَ بالبَعثِ كانَ جاريًا على ألسنَتِهِم باستمرارٍ، لا يَفتُرونَ عَنهُ، ولا يَتَحَفَّظونَ فيهِ، بَل يُعلِنونَهُ بصيغَةِ التَّحدّي والاستِهزاءِ، ولِذلِكَ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 307.

لَم يَقُل: (قالوا)، بَل قال: ﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ﴾، أي: دائمًا وأبدًا؛ لأنَّ اجتِماعَ لَفظَي الماضي والمُستَقبَل يَدُلُّ على الاستِمرارِ[1]، دونَ حياءٍ ولا تَردُّدٍ، مِمّا يُضاعِفُ جُرمَهُم، ويُبَيِّنُ شَناعَةَ مَوقِفِهِم، ويُعَجِّلُ باستِحقاقِهِم لِلعَذابِ.

غرض الاستفهام وبلاغته:

الاستِفهامُ في قَولِهِ تعالى: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ "إنكاريٌّ كِنايةٌ عن الإحالَةِ والاستِبعادِ"[2]، فهو تَقريرٌ للتَّعجيبِ وتَوكيدٌ للإنكارِ[3]، وهذا من أساليبِ الاستِفهامِ البَلاغيَّةِ الَّتي يُرادُ بها نَفيُ الوُقوعِ، فالَّذينَ قالوا هذا القَولَ لَم يَكونوا مُتَردِّدينَ أو مُتَفكِّرينَ، وإنَّما كانوا مُستهزئينَ، ساخرينَ، مُكابرينَ، يوردونَ ما لا يُتصوَّرُ وُقوعُهُ في نَظرِهِم؛ لِيُبطِلوا بِهِ دَعوَى البَعثِ، فجاءَ التَّعبيرُ بالاستِفهامِ؛ ليَستبطِنَ إنكارَهُم، ويُجَسِّدَ جَهلَهُم وعِنادَهُم.

الاستِفهامُ الإنكاريُّ كنايةٌ عن الاستحالة والاستِبعادِ

نكتة استعمال (إذا):

تَكونُ (إذا) في الغالِبِ ظَرفًا لِلمُستَقبَلِ مُضمَّنَةً مَعنَى الشَّرطِ، وتَختصُّ بالدُّخولِ على الجُملَةِ الفعليَّةِ[4]، ونُكتَةُ استِعمالِ (إذا) في قَولِهِ تعالى: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ أنَّها استُعمِلَت في مَوضِعٍ يُنتَظرُ فيه - بحَسَبِ السّياقِ - استِعمالُ (إذ)، وهي ظَرفٌ لِلمَضيِّ في أصلِ وضعِها[5]؛ لأنَّ الحَديثَ عن ماضٍ مُحقَّقِ الوُقوعِ، وهوَ الموتُ والتَّحلُّلُ إلى تُرابٍ وعِظامٍ، ولَكِن عَدَلَ التَّعبيرُ القُرآنيُّ عن (إذ) إلى (إذا)؛ ليَحكيَ قَولَهُم كما قالوهُ، ويُصوِّرَ فِكرَهُم كما تَشوَّشَ؛ لأنَّهُم حينَ يُنكِرونَ البَعثَ، يُمثِّلونَ وُقوعَهُ بَعدَ الموتِ، وكأنَّهُ

مـزجُ الأدوات في النَّظم يُنتج مـعـانيَ غـيرَ متوقَّعة ودلالات مستبدعة

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 411.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 307.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 125.
(4) ابن هشام، مغني اللّبيب: 1/ 92.
(5) السّامرّائيّ، معاني النّحو: 2/ 177.

أمرٌ سَيأتي في المُستَقبَلِ بَعدَ حالِ الفَناءِ، فجَعلوا هذا الحالَ شَرطًا مُتوقَّعًا أو مُفترَضًا، لا زَمَنًا مَضى، فجاءَ التَّعبيرُ بـ(إذا) موافقًا لِما يَجري على ألسِنَتِهم من تَصوُّرٍ مَغلوطٍ، ومقاصِدَ استِبعاديَّةٍ تَهَكُّميَّة.

واستِعمالُ (إذا) هنا - وهيَ ظَرفٌ لِما يُستَقبَلُ مِنَ الزَّمانِ - يَحمِلُ في طَيّاتِهِ تَهَكُّمًا مُستَتِرًا مِنهُم، فهُم يَستَحضِرونَ صورَةَ البَعثِ كأمرٍ مُستَقبَليٍّ مُستَحيلٍ في نَظرِهِم، وكَأنَّهُم يَقولونَ: أفي وقتٍ نَكونُ فيه تُرابًا وعِظامًا يُتَخَيَّلُ أن يُعادَ لَنا وُجودٌ؟ فـ(إذا) لَيسَت هنا مُجرَّدَ ظَرفِ زَمانٍ، بَل وسيلَة بَلاغيَّة تُجَسِّدُ استِبعادَهُم الوُقوعَ، وتُضفي على استِفهامِهِم لَونًا مِنَ السُّخريةِ والاستِهزاءِ، وكَأنَّ البَعثَ عِندَهُم لو فُرِضَ زَمنُهُ؛ فهوَ مُمتَنِعٌ في ذاتِهِ.

بلاغة استعمال مفردة الموت دون الوفاة:

لفظُ الموتِ دالٌّ على توقُّف الحياةِ في الدُّنيا وانقطاعِ الأعمال

استعمالُ لَفظِ الموت دونَ الوفاة في قَولِهِ تعالى: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ تَعودُ إلى ما في مُفرَدةِ الموت من تَصويرٍ لِلفَناءِ التّامِّ، والانقِطاعِ الكُلّيِّ عن مَظاهِرِ الحَياةِ، وما يَرتبِطُ بِهِ منَ التَّحلُّلِ والبِلى والاضمِحلالِ، وهوَ المَعنَى المَقصودُ هنا؛ إذ هُم يُنكِرونَ البَعثَ، ويَستَبعِدونَهُ؛ لأنَّهُم يَتَصوَّرونَهُ في حالٍ من عَدمِ الكيانِ، وانفِصالِ الرّوحِ عنِ الجَسَدِ إلى حَدِّ الفَناءِ، لا مُجرَّدِ انتقالٍ أو قَبضِ روحٍ، وهوَ ما تَدُلُّ عليهِ الوفاة، بالإضافةِ إلى أنَّ لفظَ الوفاة مرتبطٌ بتوفية الأرزاق والآجال من الله تعالى في الحياة الدُّنيا، وهو ما لا يعتقده أولئك المأفونون، فالموتُ لَفظٌ أجلَدُ وأصرحُ في تَصويرِ النِّهايةِ الحِسّيَّةِ الَّتي أرادوا استِحضارَها في مَعرِضِ التَّكذيبِ، أمّا الوَفاةُ؛ ففيها إيحاءٌ بالتَّلطُّفِ، وبِبَقاءِ الرّوحِ على نَحوٍ ما، ولذلك فلفظ الوفاة أنسَبُ بمَقامِ الرَّحمةِ الإلهيَّةِ والوَعدِ، لا بمَقامِ الجُحودِ والتَّكذيبِ.

دلالة إسناد الموت للنَّفس:

سخرية المكذِّبين بالحقِّ مشوبةٌ بالثِّقة المبنيَّة على التَّلاعب بالحقائق

إسنادُ الموتِ إلى ضمير المتكلِّم في قَولِهِ تعالى: ﴿أَإِذَا مِتْنَا﴾، يُظهِرُ المُتكلِّمَ، وكَأنَّهُ يَملِكُ تَصوُّرًا واضِحًا لِحالِهِ بَعدَ الموتِ، ويَتَبَنَّى القَولَ بنَفسِهِ، لا أنَّهُ مَنسوبٌ إلَيهِ على سَبيلِ الغَفلَةِ أوِ التَّقديرِ، ففيه تَوكيدٌ لِواقِعِ الموتِ في تَصوُّرِهِم هُم أنفُسِهِم، فهُم لَم يَستَنكِفوا مِنَ الاعترافِ بحُصولِ الموتِ، بَل أتوا أمرًا عجبًا، فجَعلوهُ مُنطَلَقًا لِإنكارِ البَعثِ، فالإسنادُ جاءَ تَوكيدًا لِهذا التَّسليمِ مِن طَرَفِهِم؛ ليُبنى عليهِ استِبعادُهُم، فالإسنادُ يُشدِّدُ نَغمَةَ الاستِبعادِ والإنكارِ، ويُصوِّرُ البَعثَ كَأمرٍ يُعارِضُ المَنطِقَ في تَصوُّرِهِم، وكَأنَّهُ رَدٌّ ساخِرٌ على دَعوَةِ البَعثِ، مِن قَومٍ يَتَعَمَّدونَ إظهارَ الموتِ بأقصى صوَرِهِ، ثُمَّ يُثبِتونَهُ لأنفُسِهِم؛ ليَبنوا عَلَيهِ سُخريَّتَهُم مِن إمكانِ العَودَةِ بَعدَه.

فائدة استعمال (كنّا) دون رديفاتها:

دَلالَةُ السُّكونِ النِّهائيِّ وانقِطاعِ الحَياة والاستسلام للمعتقدِ الفاسدِ

جاءَ استِعمالُ الفِعلِ (كُنّا) في قَولِهِم: ﴿وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ دونَ استِعمالِ ما يُرادِفُهُ مِن نَحو: (صِرنا) أو (تَحوَّلنا) أو (أصبحنا)؛ لِما في لَفظِ (كُنّا) مِن دِقَّةٍ في التَّعبيرِ عن زَوالِ الوُجودِ وانعِدامِ الهَيئَةِ الحَيَّةِ مِن غيرِ أن يُستَعمَلَ فيهِ لَفظٌ صَريحٌ بالتَّحوُّلِ أوِ الانتِقالِ، بَل يُعبِّرُ عنِ الواقِعِ النِّهائيِّ لِحالِهِم بَعدَ الموت.

فـ(كُنّا) في هذا الموضِعِ تَدُلُّ على الثُّبوتِ، وتُشيرُ إلى الحالَةِ الَّتي استَقَرّوا عَلَيها، كَأنَّهُم يَقولونَ: لَم نَعد شَيئًا مَذكورًا، استَحالَ كيانُنا إلى تُرابٍ وعِظامٍ، وهذا حالٌ دامَ، وبَقي، لا مُجرَّدُ تَحوُّلٍ عابِرٍ، ففي هذا الفِعلِ مَعنى الاستِقرارِ على الفَناءِ، وهو المَعنَى الَّذي يُناسِبُ إنكارَهُم لِلبَعثِ؛ إذ هُم يُسَلِّمونَ بأنَّ حالَهُم انتهَت إلى التُّرابِ والعِظامِ، لا كَمرحلةٍ وُسطى، بَل كَخاتِمةٍ لا رَجعةَ بَعدَها.

نكتة استعمال مفردة (التُّراب):

اختيارُ لفظِ (التُّرابِ) دونَ الرِّمالِ مَعَ أنَّ المُخاطَبينَ أهلُ

صَحراءٍ، والرِّمالُ عِندَهم أكثرُ ممّا سِواها، إنَّما هوَ مِن دَقيقِ البَيانِ وبَلاغته؛ ذلكَ أنَّ التُّرابَ هو أدقُّ ما يوصَفُ بهِ انحِلالُ الجَسَدِ بَعدَ المَوتِ؛ إذ إنَّهُ يُشيرُ إلى تَفكُّكِ البِنيَةِ الإنسانيَّةِ وعودتِها إلى أصلِها الَّذي خُلِقَت مِنهُ: ﴿*مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: 55]، وفي هذا الاستِعمالِ مُؤشِّرٌ علميٌّ مُهِمٌّ، فالتُّرابُ هو مادَّةُ الخَلقِ الأولى، والتَّفكُّكُ إليهِ أدَلُّ على الفَناءِ التّامِّ والانحِلالِ الكُلّيِّ، والتُّرابُ عامٌّ يَضُمُّ الأنواعَ الطّينيَّةَ والرَّمليَّةَ والمُختَلِطَةَ وغيرَها؛ لِذلكَ كان أنسَبَ أن يَقولَ تُرابًا، فكُلُّ رَملٍ هو تُرابٌ، ولَيسَ العَكس.

التُّرابُ وصفٌ لكلِّ أنواعِ الأتربة ومنها الرِّمال، وهو الحاضنُ لدفنِ الأرضِ

غرضُ تنكيرِ لفظ ﴿تُرَابًا﴾:

غرضُ تنكيرِ لفظِ ﴿تُرَابًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا تُرَابًا﴾، هو الإيحاءُ بغايةِ الفناءِ والانحلالِ، وإبرازُ الهوانِ والضَّآلةِ الَّتي آلوا إليها في ظنِّهم، فهو نكرةٌ يُقصَدُ به التَّقليلُ والاستخفاف في آنٍ؛ إذ قد صاروا شيئًا لا يُعرفُ، ولا يُميَّز، ولا يُرجى له بعثٌ ولا عَود، ونكتة التَّنكيرِ زيادةُ إنكارِ البعثِ، وتجسيدُ سخريَّتِهم منه، فكيف يُبعَثُ بشرٌ قد صار تُرابًا لا يُعرف؟ بل كيف يُبعثُ بعد أن تَلاشَى، وذابَ في عناصر الأرضِ؟.

الإيماءُ إلى دلالةِ الفناء والتَّبعثر واستبعاد البعث

ثمَّ إنَّ في التَّنكيرِ إشارةً إلى التَّبعثُرِ والتَّفرُّق، فلا صورة لجسمٍ، ولا هيئة لإنسانٍ، بل ذَرّاتٌ هائمةٌ لا يُظنُّ معها اجتماعٌ أو نُشورٌ، وذلك أبلغُ في التَّهويلِ الَّذي يُدعِّم به الكافرُ شكَّه واستهزاءَه، ويَزيدُ به استبعادَ الإمكان.

توجيهُ ذكرِ التُّراب دون الرُّفات:

يُلاحظُ ذِكر التُّراب دونَ الرُّفاتِ في قولِه تعالى: ﴿وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا﴾، بخلاف قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: 49]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء: 98]؛ وذلك ليُؤدّي

جمعَ المُنكرون بين الأثر الباقي والتَّلاشي التّامِّ

وظيفةً بلاغيَّةً بليغةً؛ إذ جاء ذكر التُّراب مع العِظام، وهي أشدُّ في الاستبعادِ من ذكرِ الرُّفات، ذلك أنَّ التُّراب هو وصولُ الأبدانِ إلى مرحلةٍ متخلِّصةٍ من جميعِ البقايا من تحلُّلٍ وانكسارٍ تبقى رمزًا لما كان عليه الإنسانُ من بنيةٍ وهيئة، فهي آخرُ ما يُدرَك من معالمِ الجسد، وبهذا فهي تُثيرُ في المخيِّلةِ صورةَ البقايا الَّتي يُتوهَّم منها البعثُ، ولو بعيدًا، أمّا التُّراب؛ فقد تلاشى منه ذلك كلُّه.

نكتةُ عطفِ العظام على التُّراب وعدم ذكر الرُّفات:

عطفُ العِظام على التُّرابِ، يُصوِّر التَّدرُّجَ في الانحلال من شيءٍ لا حياةَ فيه، وهو التُّراب، إلى شيءٍ كان فيه قوامُ الحياة، ثمَّ فسَد، وهو العظام، والانتقالُ من التُّراب إلى العظام أبلغُ في تصويرِ الفناءِ المتكامل، وألصق بإرادتهم الاستدلال على استبعادِ البعث واستحالته، كأنَّهم قالوا: أبعد أن نكون ترابًا لا معالم له، وآثار عظام بالية يستحيل فيها العود إلى الحياة، نبعثُ مرَّةً أخرى؟ فجاء ذِكرُ العِظام بعد التُّراب لبناءِ صورةٍ مركَّبةٍ من الاستدلال تجمع بين الماضي السَّحيق والماضي القريب، فموت السّابقين آثاره أتربة، وموت القريبين آثاره عظام، فالعطف من باب عطف الزَّمن القريب على الزَّمن البعيد، بدليل: ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾، والرَّدُّ عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾، فهو جمعٌ لطرفي زمانين، ويُمثِّل الرُّفات الحالة المتوسطة بين الزَّمانين، فعدمُ ذكره لدخوله في مضمونهما، فهو مرحلة متوسِّطة بين أن يكونَ ترابًا بعد أن كان عظامًا.

عـطـف الـزَّمـن الـقـريـب على الـزَّمـن البعيد الـجـامـع بين طرفي زمانٍ ممتدٍّ

نوع اللّام ودلالتها:

اللّامُ في قولِه تعالى: ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ هي لامُ الابتداءِ، وقد دَخَلَت على خَبَرِ (إنَّ)؛ لتوكيدِ مَضمونِ الجُملَةِ، فجاء التَّركيبُ: ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾، أي: أحَقًّا إنّا لَمبعوثونَ؟ وهذا أُسلوبٌ استفهاميٌّ تَقريريٌّ

يحرص المنكرون عـلـى تـقـريـر إنكارهم وتوكيد أوهامهم

أُفرِغَ في صيغَةٍ تَتَضَمَّنُ أقصى دَرَجاتِ الاستِغرابِ والإنكارِ، وهيَ تُسهِمُ في تَوكيدِ الأمرِ الَّذي يُنكِرونَهُ، وكأنَّهُم يقولونَ: أنُبعَثُ نَحنُ حَقًّا؟ فهيَ لامٌ موَطِّئَةٌ لِمَعنًى في نُفوسِهِم يَستَعظِمُ أن يَكونَ صَحيحًا، لكِنَّ الأسلوبَ القُرآنيَّ يَعكِسُها؛ ليَكونَ في صالِحِ تَوكيدِ وُقوعِ البَعثِ وتَقريرِ حَقيقَتِهِ.

فائدة ذكر البعث دون الإحياء:

البعثُ يشملُ الإحياءَ والحسابَ والجزاء، فإنكاره أشدُّ من الإحياء

جاء ذِكرُ البَعثِ دونَ الإحياءِ في قَولِهِ تَعالَى: ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾؛ إذ إنَّ الإنكارَ منصبٌّ على البَعثِ بمفهومِهِ الكلّيِّ المتضمِّن الإحياء والحساب والجزاء، كما أنَّه يَنقُلُ مَعنًى أكثَرَ تَحَرُّكًا وفَجاءَةً مِن مُجَرَّدِ الإحياءِ، ففِعلُ (بَعَثَ) يَحمِلُ في دلالَتِهِ مَعنَى الإخراجِ مَعَ الإرسالِ والتَّوجيهِ، ولَيسَ مُجَرَّدَ الإحياءِ بَعدَ المَوتِ، فهوَ إذًا أعظَمُ دَلالَةً وأبلَغُ أثَرًا في النُّفوسِ.

غرض حذف المتعلّق بـ (مبعوثون):

إنكار المكذِّبين للبعثِ باعتبارِه مفهومًا ذا دلالةٍ عقديَّة واضحة لا باعتبار آخر

حُذِفَ المُتَعَلَّق بـ (مَبعوثونَ) في قَولِهِ تَعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾؛ لتنزيل الفعل المتعدّي منزلة اللّازم، فمقصودُ الحذفِ هو تسليط الإنكارِ على أن يكون بعثٌ، فهُم ينكرون البعث فعلًا حاصلًا في المستقبلِ، له مفهوم عقديٌّ حاضرٌ في أذهانِهم يشتملُ على مجموعةٍ من المعاني، دون أيِّ اعتبارٍ آخر، فحَذْفُهُ أوضح في بيان ما يعتقدون؛ لأنَّهُ يَجعَلُ الإنكارَ مُنصَبًّا على مُجَرَّدِ إمكانِ البَعثِ، ولَو ذُكِرَ المُتَعَلَّقُ - كَأن يُقالَ: (مَبعوثونَ لِلحِسابِ) أو (مَبعوثونَ إلَى يَومٍ مَعلومٍ) - لَضَيَّقَ مِن دائِرَةِ التَّهويلِ والتَّعجيبِ.

دلالة تكرار همزة الاستفهام وغرضها:

أُعيد ذِكرُ هَمزَةِ الاستِفهامِ قبل حَرفِ العَطفِ في قَولِهِ تَعالَى: ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾، وهيَ لِطَلَبِ التَّصديقِ؛ لتَدُلَّ عَلى توكيدِ

الاستبعاد[1]؛ لِتَجعَلَ الجُملَةَ استفهامًا آخر، مَفادُهُ: أوَ يُبعَثُ آباؤُنا الأوَّلونَ مَعَنا؟ كَأنَّهُم يَستَبعِدونَ البَعثَ لِأجلِ أجدادِهِم أكثَرَ مِمّا يَستَبعِدونَهُ لأنفُسِهِم، وهو ما يتناسبُ مع ذكرِ التُّرابِ المومئِ إلى الآباءِ، وفي ذِكرِهِم الآباءَ الأوَّلينَ مَزيدُ تَهَكُّمٍ وإغراقٍ في الإنكارِ؛ لأنَّ الآباءَ الأوَّلينَ قَد مَضَى على مَوتِهِم الأزمِنَةُ الطَّويلَةُ، فهُم أبعَدُ في نظرهم عَنِ الإمكانِ، وذَلِكَ أبلَغُ في مَعنَى الاستِبعادِ الَّذي يَنطَوي عَلَيهِ استِفهامُهُم، فالاستِفهامُ غَرَضُهُ الإنكارُ والتَّهَكُّمُ، ومُفادُهُ نَفيُ المَبعَثِ لَهُم ولِآبائِهِم الأوَّلينَ على سَبيلِ التَّعَجُّبِ والسُّخريَةِ مِن دَعوَى البَعثِ بَعدَ الفَناءِ.

التَّهكُّم بالحقِّ وتصعيد الإنكار وتوكيد الاستبعاد دَيدن أهل النّار

دلالة العطف وتعيين المعطوف عليه:

دلَّ العَطفُ في قَولِهِ تَعالَى: ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ على الزّيادَةِ في التَّهويلِ والتَّهَكُّمِ والإغراقِ في الإنكارِ؛ إذِ اقتَضَى عطفُ (آباؤُنا الأوَّلونَ) على ما قَبلَهُ أن يُعَدّوا مَعَ الأنفُسِ في سُؤالِ البَعثِ، فكَأنَّهُم يَقولونَ: أنُبعَثُ نَحنُ، ويُبعَثُ مَعَنا أولَئِكَ الَّذينَ قَد بَلِيَت عِظامُهُم، وتَناثَرَت أجزاؤُهُم، وقُبورُهُم مَجهولَةٌ؟.

التَّدرُّجُ في الإنكارِ الاستبعاديِّ يُجلّيه التَّهكُّم المرضيُّ لا الاستفهام العقليُّ

والمَعطوفُ عَلَيهِ هوَ جُملَةُ الاستِفهامِ السّابِقَةِ في قَولِهِم: ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾، وقَد جاءَ العَطفُ بالواو لإشراكِ المعطوفِ عليه مع المعطوفِ بالاستفهام، وبَينَ الاستِفهامِ عَن بَعثِ الآباءِ الأوَّلينَ، فَفائِدَةُ العَطفِ هيَ إشراكُ إنكارٍ بإنكارٍ، وتَسجيلُ عَدَمِ التَّصديقِ لِكِلا الفَرضَينِ.

دلالة وصف الآباء بالأوَّلين:

وصفُ الآباءِ بالأوَّلين في قوله تعالى: ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ جاء لبيان شدَّة الاستبعاد والتَّهويل والتَّضخيم من جهة الاستغراب

توكيدُ الاستبعاد وتقرير التَّهكُّم الإنكاريِّ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 307.

والتَّكذيب، كأنَّهم يقولون: إذا كنّا نستبعد أن نُبعث بعد أن نُفنى، ونصير ترابًا وعظامًا، فإنَّ بعْثَ آبائنا الأوَّلين أشدُّ استحالةً في تصوُّرنا؛ لأنَّهم أقدم موتًا، وأبعد عهدًا، وأشدُّ اندثارًا، فهُم قد مضت عليهم القرون، وتفرَّقت أشلاؤهم في الأرض، فلا أثر منهم ولا خبر إلّا التُّراب المنشور، والوصف يزيد من عنصر من التَّهكُّم الإنكاريِّ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والخمسون،
سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والخمسون، سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 59 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-648-68-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 59 : المجلد التاسع والخمسون، سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-648-68-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7377148 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"